الباب الثانى

الفصل الأول: الأزياء التقليدية للصوفيين والدروايش ومدلولاتها الفكرية فى مصر.

الفصل الثانى: الزى التقليدى لمؤدى رقصة التنورة فى مصر.

الفصل الثالث: التشابه بين أشكال الزى الخارجى التقليدى للنساء فى الوطن العربى.

الفصل الرابع: الثوب المردن التقليدى بين الأسطورة والتاريخ فى المجتمعات العربية

الفصل الأول
الأزياء التقليدية للصوفيين والدروايش
ومدلولاتها الفكرية فى مصر

المقدمة :

تلعب الملابس دوراً سيكولوجياً فى حياة الأفراد، فهى تشكل المظهر الخارجى للفرد وتعبر أحياناً عن ذاته وتمنحه صفات خاصة، فقد تزيد الشخص قوة ووقاراً وقد تقلل من قيمته بالإضافة إلى أنه غالباً ما يكون لها أثر معين على حالة من يرتديها ومن يشاهدها، فالأزياء ظاهرة ذات علاقة وثيقة بالبنية الاجتماعية للمجتمع فهى تعكس الميول والرغبات ومختلف ظواهر السلوك الجماعى.

وللأزياء الدينية ارتباط بالجانب النفسى الغيبى للإنسان منذ أقدم العصور فقد كان رجال الدين والكهنة فى كل الأديان والأزمان يرتدون ملابس خاصة ذات طراز معين (كهنوتية) تنم عن نظرة دينية خاصة، هذا بالإضافة إلى أن الاحتفالات الدينية فى مصر لعبت دوراً كبيراً فى نشر تلك الطرز والملابس كالاحتفال بمولد السيدة زينب، سيدنا الحسين وهذه دراسة للأزياء التقليدية للصوفيين والدراويش فى مصر وما يرتبط بها من مكملات.

- الصوفيين :

طريقة فى الزهد والإعراض عن الدنيا والتفرغ للعبادة والجمع صوفية وقد يقال متصوف وقد وردت هذه اللفظة على بعض الآثار العربية إما بصيغة الفرد وإما بصيغة الجمع.

- الدراويش(*)

جماعة من الزهاد والصوفيين كانت منتشرة فى أحياء القاهرة القديمة تقدم ما يسمى بالاحتفالات الدينية والشعبية لطريقة الدراويش "المولوية(*)" أتباع مولانا جلال الدين الرومي(*) الذين مكثوا فى مصر منذ القرن الرابع عشر الميلادى، فى تكيتهم(*) المعروفة بتكية "المولوية" والتى لا تزال باقية كأثر كامل فريد من نوعه فى حى القلعة بالقاهرة حيث خرجت آخر مجموعة "مولوية" من مصر فى حوالى عام ١٩٤٠م وذلك لعدم الارتياح إليهم ، وإلى طقوسهم الغامضة وتدخلهم فى بعض الأمور السياسية.

والصوفى والدرويش كلمتان مترادفتان لمعنى واحد، وهو الرجل الزاهد عن الحياة الدنيا والمتفرغ لعبادة الله.

- زى الصوفى أو الدرويش:

زى له شكلاً مميزاً عن غيره من الأزياء التقليدية يصنع من القطن أو الصوف وغالباً ما تقترن تلك الملابس بالخرق والمرقعات والأشرطة الملونة، ويرمزون بهذا الزى إلى الفناء ونزر النفس الإنسانية قرباناً إلى الله ، وزى الصوفى هو نفسه زى الدرويش أى اختلط المصطلحان بحيث لم يعد يميز أحدهما عن الآخر إلا أنه من

(*) درويش: الجمع دراويش، لفظ فارسى تعنى الرجل الفقير أو الرجل الزاهد فى متاع الحياة ، كما تعنى جماعة من الزهاد والصوفية . والفعل من هذا الأصل هو الفعل "دروش" وهو يعنى أن يلف الرجل رأسه بقطعة من القماش فى المعارك.

(*) المولوية: جماعة دينية، اهتم بهم الأتراك والإيرانيون والعرب على حد سواء، وكانت تقدم حلقات ذكر فى الليالى المباركة (كالسابع والعشرين من رجب والخامس عشر من شعبان، والعشرين من رمضان)) حيث تدور هذه الجماعة بأزيائها الخاصة بالمساجد، وتسمى هذه الجماعة بالدراويش.

(*) جلال الدين الرومي: أحد أعلام التصوف الإسلامى وأكبر شعراء الصوفية على الإطلاق فى الشعر الفارسى اسمه محمد بن الحسين البلخى ، وكنيته جلال الدين ويلقب بالرومى ويشتهر بمولوى ويعرف بجلال الدين الرومى، ولد بمدينة بلخ فى إقليم خراسان سنة ٦٠٤ هـ - ١٢٠٧ م.

(*) التكية: كلمة تركية تعنى المكان المخصص لإيواء المتصوفين وفقراء المسلمين وهى تقابل الخانقاه الفارسية.

الضرورى أن ننبه أن مصطلح زى الدراويش صار يقترن فى أذهاننا بتلك الأسمال والخرق والمرقعات على ملابسه.

- التصوف بمصر:

ظهر مصطلح التصوف فى الأدب العربى فى منتصف القرن الثالث الهجري (٩م) ليدل على طائفة معينة من الزهاد. غير أن الزهد قد عرف فى الإسلام منذ البداية وذلك كرد فعل لإسراف بعض الأثرياء فى الاستمتاع بمباهج الحياة من جهة ، وللمبالغة فى النزعة العقلية الإسلامية من جهة أخرى وكان للصوفية آداب خاصة بهم ومصطلحات وطرق معينة فى الذكر والتعبد والمعاملات . وإن كانوا لا يخرجون عن الشعائر الإسلامية وكان يتدرج الصوفى فى طريقته إلى مراحل إذ يبدأ المريد على يد شيخ الصوفية(*) مقام أولى فى العبادة ثم يترقى، وعليه أن يدرس علم التصوف. فقد بدأ اتخاذ الزهد مستمداً من تعاليم الإسلام، ثم أخذ يتأثر بالديانات والمذاهب الأخرى كالمسيحية والبوذية والأفلاطونية الحديثة وربما كان لدخول بعض أصحاب هذه الديانات فى الإسلام تأثير فى رواج هذه النزعة.

ومن المعتقد إن التصوف قد عرف فى عصر الفاطميين إذ اتخذ الصوفية مكاناً خاصاً بهم فى "القرافة" فى ذلك العصر، وقد ذكر "المقريزى " أن الخليفة " الآمر " الفاطمى قد جدد "القرافة" وأقام بها مصطبة للصوفية. وفى أواخر العصر الفاطمى ظهرت فى مصر طريقة جديدة تخالف التعاليم الفاطمية هى الطريقة "الكيزانية"، وربما كان ذلك نتيجة لضعف الدولة والتعاليم الفاطمية نفسها.

ولما اعتلى "صلاح الدين الأيوبى" عرش مصر شجع النزعة الصوفية الجديدة

(*) شيخ الصوفية: من الوظائف الدينية المختصة بالصوفية ، وهو يقطن خانقاه أو زاوية وشيخ الطريقة أو شيخ الطريق هو شيخ إحدى الفرق الصوفية ذلك أن الصوفية تفرعوا إلى طوائف أو طرق كان لكل منها شعائرها فى التصوف العلمى وأورادها وأذكارها وكان لكل طريقة شيخها وهو رئيسها الأعلى وكان لكل شيخ خلفاء فى القرى والبلاد ولكل خليفة مريدون.

عند المصريين وكان من وسائله لذلك إقامة الخوانق(*) والزوايا، وقد ورث المماليك من الأيوبيين الأهتمام بالصوفية. والحق أن نزعة التصوف قد اشتدت بصفة عامة فى القرن السابع الهجرى (١٣م) كما أن بعض سلاطين المماليك نزعوا إلى التصوف كما كان الحال بالسلطان "قايتباى" الذى كان ذا اعتقاد فى الفقراء واتبع طريقة الصوفية فى التقشف ، وكانت له أذكار وأوراد ظلت تقرأ فى الجوامع وقتاً طويلاً ومن الظواهر المهمة فى مصر العثمانية استمرار نمو المذاهب الصوفية، التى كانت امتداداً لمذاهب المتصوفين فى العصر المملوكى. وكان لهذه الطوائف الصوفية أثر مهم فى حياة المصريين من نواح متعددة. فأوجدت بين أفرادها نوعاً من التعاون والتآزر والعطف على الفقير، فكان المحتاج يجد فى تكاياهم وخوانقهم الملجأ والمأوى، كما كانت مصدراً للثقافة العامة بما يتصل بها من تعاليم دينية وعبادة روحية، وبما ينشدونه من الأشعار والأذكار. وقد كون أرباب الطرق الصوفية جماعات قائمة بذاتها، لها قوانين ترسم الحدود فى حياة أفرادها، وتحدد عقوبة المذنب منهم . وكان لمشايخ الطرق الصوفية نفوذ وكلمة عند الحكام، والجند، الذين أفاضوا عليهم الأموال والعطايا. واستغلوا نفوذهم عند الشعب لتهدئة الخواطر وحفظ الأمن. وفى الوقت نفسه كانوا يتوسطون لدى الحكام لمصلحة الشعب عند الشدائد. وبذلك اكتسبوا نفوذاً عند الحكام والجماهير على السواء.

الملابس الخاصة بالصوفيين والدراويش :

تكمن أهمية الملابس "البزة(*)" عند الصوفيين والدراويش من أنها وسيلة من وسائل التعبير عن النفس وما بداخلها من انفعالات ورغبات كامنة تعبر عما فى داخلهم من مفاهيم وسلوك، لدرجة أنهم استمدوا من تلك الملابس وأسمائها

(*)الخوانق مفردها خانقاه، كلمة فارسية مكونة من مقطعين خان وقاه بمعنى مكان الأكل، أما معناها المعمارى فهى المكان المخصص لإيواء المتصوفين المنقطعين للعبادة ، وقد ظهرت الخانقاه فى العمارة الإسلامية منذ القرن الرابع الهجرى فى إيران، ثم انتشرت بعد ذلك فى جميع أنحاء العالم الإسلامى. وقد بدأ ظهور الخانقاوات فى مصر منذ العصر الأيوبى.

(*) البزة: اسم يطلق على الملابس التى يرتديها الصوفيين أو الدراويش ولا يوجد معنى لكلمة (بزة) فى القواميس العربية.

وطرق ارتدائها شعاراً لهم وعلى سبيل المثال لا الحصر. سميت طائفة الطيلسان(*) وطائفة "الرداء" وأخرى طائفة "المئزر" وأحياناً أخرى كان يتخذ الاسم من طريقة لبس العمامة كطريقة إرخاء "العذبة(*)" أو لف العمامة.

وتتكون ملابس الصوفى أو الدرويش من الآتي: الجبة أو (العباءة) – الجلباب (الدراعة) أو الدلق – أو القميص – التنورة (الجونلة) – السراول – الزنار (الحزام) وغطاء الرأس والقدم ومكملات أخرى كالعصا والشنطة. الشكل رقم (١).

- الجبة(*) أو(العباءة(*)):

أشير فى كثير من المراجع العربية إلى تعدد أسماء وأشكال الملابس عند الصوفيين أو الدراويش فقد ذكر أن الصوفى يرتدى جبة من القطن أو الصوف فضفاضة لونها أسود أو أزرق مفتوحة من الأمام ذو حردة رقبة مستديرة بأكمام طويلة واسعة الشكل رقم (١) تتدلى جوانبها الأمامية كالعباءة، لذا يجمع "المولوى" أطرافها على إحدى يديه ثم يمسك بأحد هذه الأطراف وينشره إلى الأمام عندما يبدأ الدوران وكان أكثر الدراويش يرتدون ملابس قطنية تغطيها عباءة من الصوف يطلق عليها "الجرد" يلبسها المريد من شيخه حيث يأخذ العهد منه ولا يوجد معنى لكلمة جرد فى القواميس العربية وربما يقصد من كلمة الجرد الصوف الخشن(*) أو الجوت(*)

(*) الطيلسان: ضرب من الأكسية والجمع طيالس أو طيالسة، وهو نوع بسيط من الخمر يطرح على الرأس والكتفين أو يلقى على الكتفين فقط

(*) العذبة: خصلة من الخيوط أو جزء من شال العمامة تتدلى من أعلى العمامة أو الطربوش.

(*) الجبة : الجمع جبب ، مصنوعة من الصوف أو الجوخ مفتوحة من الأمام يصل طولها حتى القدمين، ولها ردنان واسعان يلبسها العلماء ورجال الدين.

(*) العباءة : ثوب يلبسه العرب، يصل طوله إلى القدمين، مفتوحة من الأمام ولها فتحتين لخروج اليدين، تصنع من الصوف الخشن أو من وبر الماعز أو الجمل من اللون البني الفاتح أو الغامق، وبعضها الآخر ذو نسيج ناعم رقيق شفاف.

(*) الصوف الخشن: نوع من الصوف الغليظ يستخدم في صناعة الأكلمة الشعبية.

(*) الجوت : نوع من الألياف النباتية التي تستعمل في صنع أكياس التعبئة وصنع بعض أنواع من الحصر.

(الخيش) الذى يتميز بتخانة السمك والخشونة والذى يفضل بعض الدراويش لبسه. اللوحة رقم (١).

- الجلباب (الدراعة) أو الدلق:

الجلباب زى يصنع من القماش القطن، يتكون من مستطيل واسع عرضه يبلغ عرض الكتفين وطوله بطول الشخص ويتميز بوجود فتحة فى منتصف الأمام، والأكمام تتميز بالطول والإتساع. الشكل رقم (٢أ) ويصف "حسن الحمامي" جلباب الدرويش فيقول" عندما يشتد "بالمولوي" الوجد سرعان ما يخلع الجبة فيظهر جلباب من القطن الأبيض أو الأسود بخط وسط وأكمام طويلة وربما يقصد المؤلف قميص وتنورة لأنه ليس للجلباب خط وسط.

أما "وليد الجادر" فقد وصف "دراعة" الدرويش بأنها عبارة عن جلباب أبيض أو ملون طويل من القطن أو التيل مفتوح إلى منتصف الأمام بأزرار. مبطن أو بدون بطانة مضاف إليهما الخلقان أو الأسمال وقد لبسه الفقراء بصورة خاصة فى العصر العباسى أما "دوزي" فقد وصف بأن أكثر الدراويش يرتدون القفطان(*) أو الخفتان ويكون من ألوان شتى ويكون من الجوخ أو الصوف وفى موضع آخر يصف زى آخر يرتديه الدراويش يعرف "بالدلق" يصفه فيقول: لباس الفقراء والدراويش "ونقلاً عن "السيوطي" أن القضاه والعلماء كانوا يرتدون "دلقا" واسعاً غير مشقوقاً من الأمام بل كانت فتحته على مستوى الكتف" ويلبس الخطباء دلقاً أسود اللون. ونقلاً عن "القلقشندي" "أن مشايخ الصوفية مضاهون لطائفة العلماء فى لبس الدلق إلا أنه يكون غير سابل (واسع)، ولا يكون طويل الكم". الشكل رقم (٣).

- القميص:

وأحيانًا يستغنى الصوفى عن لبس الدراعة أو القفطان ويلبس قميصًا فوق

(*) القفطان: Caftan كلمة فارسية ويطلق عليه أيضاً القباء، يلبس فوق الثياب مفتوح من الأمام وله كمان طويلان ويتدلى حتى يصل إلى القدمين ويتمنطق عليه بحزام، ثم يلبس فوقه الجبة.

التنورة وقد وصف "دوزي" أن الدرويش يرتدى قميص له كمان واسعان للغاية، يصلان إلى المعصم، ويبلغ طوله إلى منتصف الساقين مصنوع من القطن الأبيض، أو الشاش الموصلى، لا ياقة له. الشكل رقم (٤)

- التنورة(*):

عبارة عن (جونلة) بكشكشة عند خط الوسط واسعة من أسفل وأثناء دوران الصوفى فى حلقة الذكر ترتفع التنورة على شكل مخروطى وتكون فيه ساق المولوى "محوراً لهذا المخروط الدائري" الشكل رقم (٤). وغالباً ما يقترن بالجبة أو الجلباب أو الدلق أو التنورة الأسمال والخرق(*) والمرقعات(*) والأشرطة الملونة. وقد ذكر " دوزي" يرتدى دراويش مصر ملابس غاية فى الغرابة، فملابس بعضهم حافلة بالخرق والأسمال البالية الملونة بكل الألوان، وملابس الآخرين مجللة بالريش الكثير وهناك عراه كل العرى، ولهم لحى وشعور شبيهة بأشواك القنافذ. ويصف "ابن الجوزي" " أما الزهاد والمتصوفون فقد كانوا يلبسون الخلقان والمرقعات أى أن طابع لباسهم متميز بالبساطة والخشونة وذلك أمر متفق مع معتقداتهم.

وكان للخرقة أو الشارة رمز ودلالة عند الصوفى أو الدرويش فهى تعنى لديه رمز التفويض ، والقبول والتسليم كما أنها تعبير عن دخول "السالك" إلى طريق التصوف وتشير كتب التصوف وطرقه المعاصرة بالحديث عن الخرقة والإشادة

(*) التنورة: الجزء السفلي من الزي يبدأ من الوسط ، وتنتهي إلى أعلى القدمين وتسمى "جونلة" " SKIRT" وقد دخل لفظ الجونلة إلى اللغة العربية عن طريق اللغة الإيطالية، فهي كلمة إيطالية الأصل هي GONNELLA بمعنى SKIRT ، كما يطلق عليها لفظ تنورة الجمع: تنانير وفصيحها النقبة، أي ما يحيط الجسم من الملابس من الخصر إلى القدمين وهي من أصل فارسي.

(*) الخرق: تعني في المعجم اللغوي التمزق والقطع، وخرق الأرض قطعها حتى بلغ أقصاها وفي القرآن الكريم قال الله تعالى (أنك لن تخرق الأرض) ويقال للرجل المتمزق الثياب منخرق السربال.

(*)المرقعات: إصلاح موضع فيه خرق ويقال الأرقع والترقيع وهي تعني قطعة من قماش لا لون معين لها، تخاط فوق الثياب إذا ما صار بها تمزق ، وهي تعبير يرمز إلى الفقر والحاجة ويرتبط بعجلة التناقض الطبقي والتدهور الاقتصادي للمجتمع.

بدورها العظيم فى حياة المريد بحيث نسب إليها شيوخ وسموا بها وأعطى الشيخ الخرقة لمريده أى أعطاه العهد، ووافق على قبوله فى الطريقة ووصلت الخرقة عند أهل الطرق حداً يقرب التقديس، أو هو نفسه وحصيلة ما ورد فإن الخرقة تظل تدور فى فلك الرمز، وتظل إشارة فى طريق السائر نحو عالم التصوف الواسع المذهل بأبعاده وضبابية أجوائه.

أما من حيث المعنى فهى تشير إلى كثرة المرقعات أو الخرق على ثياب الصوفيين والدراويش وهى عبارة عن قطع من القماش على أشكال وألوان مختلفة متنافرة تخاط على الثياب الأصلية، وقد بالغ الصوفى فى ذلك حتى أن إحدى الصوفيين وزنت إحدى أكمامه فبلغت إحدى عشر رطلاً لذلك سميت "بالكيل" ولم يكن هذا النوع من"الترقيع" ليطاق حتى لقد أسماه "حاتم الأصم" بالموت الأخضر لكثرة الترقيعات. الشكل رقم (٥).

- السروال(*):

من التقاليد الملبسية لدى الصوفى أو الدرويش يصنع من القطن ويمسكه حزام يربط حول الوسط بما يعرف بالتكة. الشكل رقم (٢ب) وتختلف سراويلهم إختلافاً كبيراً فبعضهم يرتدى سراويل فضفاضة طويلة تضم فى نهاية الساق فوق القدمين وبعضهم يرتدى سراويل ضيقة قصيرة يصل طولها إلى الركبة تقريباً.

- الزنار(*):

يلبس بعض الدراويش الزنار (الحزام) وقد وصفه "دوزى" هو تقليد للرهبان النصارى الشرقيين، فقد كان كل نصارى بالغ أن يتمنطق زنارا يسمى "الكشتى" عبارة عن قطعة أو شريط مستطيل أبيض من صوف الغنم تغزلها نساء الرهبان،

(*) سروال: الجمع سراويل وهي كلمة معربة أصلها فارسي "شلوار" والسروال لباس انتقل إلى العرب من فارس، وقد عرف المسلمون السروال من أيام الإسلام الأولى أي إبان فتح فارس، وكانت السراويل تلبس في معظم البلاد الإسلامية منذ القرون الأولى للهجرة.

(*) الزنار: الجمع زنانير معرب قديم من اليونانية، وهو ما يشد على الوسط كالحزام أو الشملة.

والزنار كان يلبسه اليهود، وبمرور الزمن تأثر الصوفيين بالرهبنة وصار الزنار رمزاً وتجسيداً لفكر الصوفية، فحين يخلع الصوفى "زناره" ويسلمه لشخص ما فذاك يعنى أنه منحه أكبر قدر من المحبة والرضا. والزنار عبارة عن قطعة قماش أو جلد يبلغ عرضه حوالى قدم واحد وطوله اثنى عشر قدم به عدد كبير من الحلقات النحاسيـة التى تحدث صوتاً أثناء السير فى الطريق. الشكل رقم (٤).

- لباس الرأس:

يعتبر لباس الرأس القاسم المشترك الأعظم عند الرجال عامة وقطاع الصوفية خاصة إذ يطلقون عليه "دستور" الأمان، وترتبط العمائم الصوفية بتقاليد خاصة تعارف عليها فيما بينهم إذ يلقى طرف من العمامة يطلق عليه (العذبة) وجرى العرف أن ترمى إلى الخلف، وهذا يرمز إلى الصوفى ألقى ظهره ما دون الحق أما من وضع أمامه الحق وجعله نصب عينيه فليلق (العذبة) إلى الأمام ولم تكن العمائم ذات لون معين إذ كانت فرق الدراويش السنية غير مقيدة بلون خاص بالنسبة لعمائمهم وكان الشائع لونان هما الأبيض والأخضر، أما دراويش الفرق الشيعية فكانت من اللون الأسود.

ويستبدل أتباع الطرق المعاصرة العمامة بشيء أكبر وأضخم ليكسب المتصوف الوقار والهيبة والرهبة معاً، وهو أقرب فى شكله إلى تيجان السلاطين فى العصور الإسلامية السالفة، وبما أنه ليس تاجاً بالمعنى الحقيقى لكنهم مع ذلك يسمونه "التاج" تشبيهاً بأولئك السلاطين من جهة وتعبيراً عن وقارهم الذى يستمدونه من البسطاء والعامة من جهة أخرى.

ويلبس دراويش الطريقة "المولوية" طربوشاً(*) أو" طرطوراً(*) " أو "كلاه" وهو لفظ فارسى يتراوح طوله من ٣٠: ٦٠ سم اشتهر بلونه العسلى أو البنى الفاتح

(*) الطربوش : لباس للرأس ذو شكل أسطواني منتظم مبطن بالقش وله ذؤابة أي شرابة من خيوط حريرية سوداء .

(*) طرطور: الجمع طراطير تصنع من اللباد وتزين بالخرق الملونة والخرز والودع.

أو اللون الدخانى ، أما الشيخ فهو ليس كالمريد، يتميز عنهم بلبس عمامة خضراء تتكون من قلنسوة(*) تحيط بها عمامة خضراء مزركشة ويتناسب حجمها من حيث الضخامة مع مقام الشيخ وقدمه فى الرئاسة. الشكل رقم (٦) وكانت بعض فرق الدراويش تلبس صغارها طراطير تزينها من القمة خصل من الأشرطة(*) ذات ألوان مختلفة. الشكلين رقمى (٨،٧) وفى إشارة "لإبن كثير" ضمن حوادث سنة (٦٦٥هـ ـ ١٢٦٦م) "أن الدراويش "القلندرية" كان من شعارهم لبس الفراجى والطراطير المزينة بالأشرطة "كما نقل "دوزى" عن رحلة "ستوكوف إلى الشرق" أن الدراويش الموجودين فى مصر ينتمون إلى بلدان مختلفة وكان بعضهم يلبس العمامة والملابس العادية، ويلبس آخرون الفاروق التركى، وآخرون عمائم أو طراطير على هيئة قالب السكر، وآخر يلبس طرطوراً أبيض قد طرز عليه بحروف سوداء عليها أدعية للخلفاء الراشدين وللحسن والحسين ولغيرهم من الأولياء، وكان أكثر الدراويش مصريين وبينهم أتراك وفرس " ومما يميز أيضاً بعض الدراويش لبس قلنسوات من اللبد الأصفر مشدودة فى وسطها حزمة من خيوط دمقسية طويلة، وقد تختلط بشعر الدرويش نفسه، أو مطرزة بأبيات من الشعر العربى اوالفارسى. ويطلق على لفة العمامة(مقلة) فى لغة المتصوفيين. الشكل رقم (٩).

- لباس القدم:

يرتدى الصوفيين والدراويش فى أرجلهم نعال(*) يسمى (الباى تابه) وليس لها مقابل فى اللغة العربية، وهو نوع من الأحذية الجلدية له سير طويل يلف على الساق على شكل حرف (×)، وقد فضل آخرون لشدة كرههم للنعال القبقاب

(*) قلنسوة: الجمع قلنسوات غطاء يلبس على الرأس تحت العمامة مخروطي الشكل..

(*) الأشرطة: تزيين القلانس والطراطير أشرطة ملونة كانت متبعة عند الأشوريين.

(*) النعال: من ألبسة القدم المعروفة منذ العهد القديم ، ويصف " نيبور " في كتابه (يوميات جولة في الشرق ج٢) عن بدو صحراء مصر يمشون حفاة الأقدام ولكنهم في مناسبات أخرى يلبسون النعال المصنوعة من جلود الجمال " الفجة" وهم يربطونها بشراكين يمر الأول منها على ساق القدم والآخر بالإبهام والسبابة.

الخشبي(*) ويسمى "السنبك" أو "المزيج" فى لغة المتصوفيين وللنعال دور فى الحياة الصوفية وهو ارتباط وامتداد لما ورد فى التراث الدينى الذى يرتبط بالسنة ، وبالمقابل وبقدر هذا الاحترام الذى يصل حد التقديس، نجد تمرد الصوفية على نعالهم الشخصية، فقد احتقروها وأهملوها ومشوا حفاه فقد ذكر"حسن الحمامى" أن دوران المولوى يتم فى المسجد وعلى سجاجيده . لذا فليس لهذا الزى لباس خاص بالقدمين.

أما عن مكملات الزى فغالباً لا تخرج عن مجموعة من السبح الطويلة المختلفة الأنواع والألوان حول رقبته، وشنطة من القماش يطلق عليها (جراب) يضع فيها متعلقاته الشخصية.

أما حالياً ورغم تقلص دور هذه الجماعات إلا أن زيهم لا يتعدى سوى جلباب وعباءة بمختلف الألوان ولكن وجه الاختلاف يكمن فى اختلاف الطوائف وتعددها فى مصر وأهم ما يميز طائفة عن أخرى الآن لون الشارة والطاقية أو العمامة فطائفة "الرفاعية" يكون لون العمامة من اللون الأسود "والقادرية" من اللون الأبيض "والأحمدية" من اللون الأحمر "والبرهامية" والحامدية الشاذلية من اللون الأخضر. اللوحة رقم (٢).

ما الدافع وراء ارتداء أزياء غريبة لدى المتصوفين أو الدراويش؟

نعلم أن من مبادئ الإسلام خشونة اللباس عند الرجال، حيث نهى النبى عليه أفضل السلام عن لبس الحرير. كما أن الدين الإسلامى أيضاً لم يفرض على المسلمين زياً خاصاً، بل تركها إلى الإختيار فى حدود والتزام ولم يفرض قاعدة أو نمطاً خاصاً لزى إسلامى لدرجة تأثر المسلمون على مر العصور بأزياء الأمم الأخرى، إذ لبس النبى عليه أفضل الصلاة والسلام " الجبة الرومية والطيالسة الكسروية ".

(*) قبقاب: الجمع قباقيب حذاء من الخشب يعلو عن الأرض ١٥ سم يثبت بقطعة مستطيلة من الجلد على الخشب بمسامير ويزركش ببعض القطع المعدنية وبالأصداف البحرية وقد اشتهرت بصناعته الشام، أما الكلمة فربما كانت مأخوذة من "قب" التي تعني في اللغة علا وانتصب.

ولذا حينما نشطت حركة المتصوفيين والدراويش كانت ترمى إلى الاستقلال الذاتى فى تفكيرها وتقاليدها كجماعة دينية فأخذت طوائفها تقلد كل ما هو غريب التى كان منها ظهور أزياء خاصة وغريبة لم تكن معروفة بين المسلمين من قبل، وربما يرجع ذلك إلى الملل والضيق الذى يعانى منه المتصوف أو الدرويش والتى تعكس حالة المجتمع والبيئة التى يعيش فيها، وبالتالى فإن هذه الأزياء تعبر عن ثورة داخلية ضد تناقضات الوضع الاجتماعى، ولعلها أيضاً حالة رفض لواقع مرير يعيشه المتصوف ويحس به.

لماذا اختير الصوف والخرق والمرقعات للباس المتصوفيين والدراويش؟

نعلم أن الأضحية مرتبطة بالعقيدة . والصوف مادة مستمدة من الأضحية أو القربان الذى يتقرب به الإنسان فى كل زمان ومكان إلى ربه فى الأديان جميعها قديمها وحديثها سواء فى الإسلام أو المسيحية أو اليهودية ، وارتبط التصوف باللباس المصنوع من الصوف لما للصوف من قدرة فائقة على العزل الحرارى ، أى قدرته على حفظ حرارة الجسم الذى يحيط به ومنعها من الإشعاع وهذا يتفق مع خشونة الحياة الصوفية من عذاب وقهر فرضته الصوفية على نفسها وعلى مريديهم.

أما بالنسبة للخرق والمرقعات المضافة على ملابسهم فقد صارت مجرد تقليد لا يرتبط بعقيدة ما، ولكن صار ملائماً لإدعاء الدراويش بالزهد ومن هنا أصبحت المرقعات "موضة الصوفيين والداراويش" وقد بالغوا فى تزيين ملابسهم بها وهذا يتفق مع مفهوم زخرفة وتطريز الملابس الشعبية بالألوان الزاهية والزخارف والرموز والأشكال الهندسية كحرز لمنع عين الحسود، وبالتالى يرتبط هذا المفهوم مع المتصوفيين والدراويش من كثرة الخرق والمرقعات البالية على ملابسهم ذات الوجه الغيبى الذى يرتبط بالجانب المعدم فى حياة الإنسان لأنهم يحسون بالغربة والانسلاخ عن العالم المحيط بهم.

أما بالنسبة إلى تعدد ألوان العمامة، لا ندرى لهذا الاختلاف من علة، غير أن ثمة استنتاجات تكاد تقارب الحقيقة يكشف عنها ذلك الذى شاع بتميز الرفاعية فى

مصر باللون الأسود، والأحمدية باللون الأحمر. ولهذه الألوان مدلول لدى الصوفى أو الدرويش لأن فيه معنى صراع النفس. وفى اختيار اللون الأسود الذى اختاره العباسيون واختاره من بعدهم الرفاعية فى مصر يدل على نظرة المتصوف أو الزاهد للحياة التى لم تكن غير نظرة عابسة تنم عن الحزن. أما اللون الأبيض، فهو لا شك يدل على صفاء النفس وطهرهـا وبعدها عما يدنسها، ومثل هذا يمكن أن يقال عن اللون الأخضر الذى يرمز للجنـة التى وعد بها الله المتقون.

الشكل رقم (١)

زى الصوفى أو الدرويش

اللوحة رقم (١)
درويش يرتدى عباءة
من الجوت (الخيش)

اللوحة رقم (٢)
طائفة الحامدية الشاذلية بالشارة والعمامة الخضراء

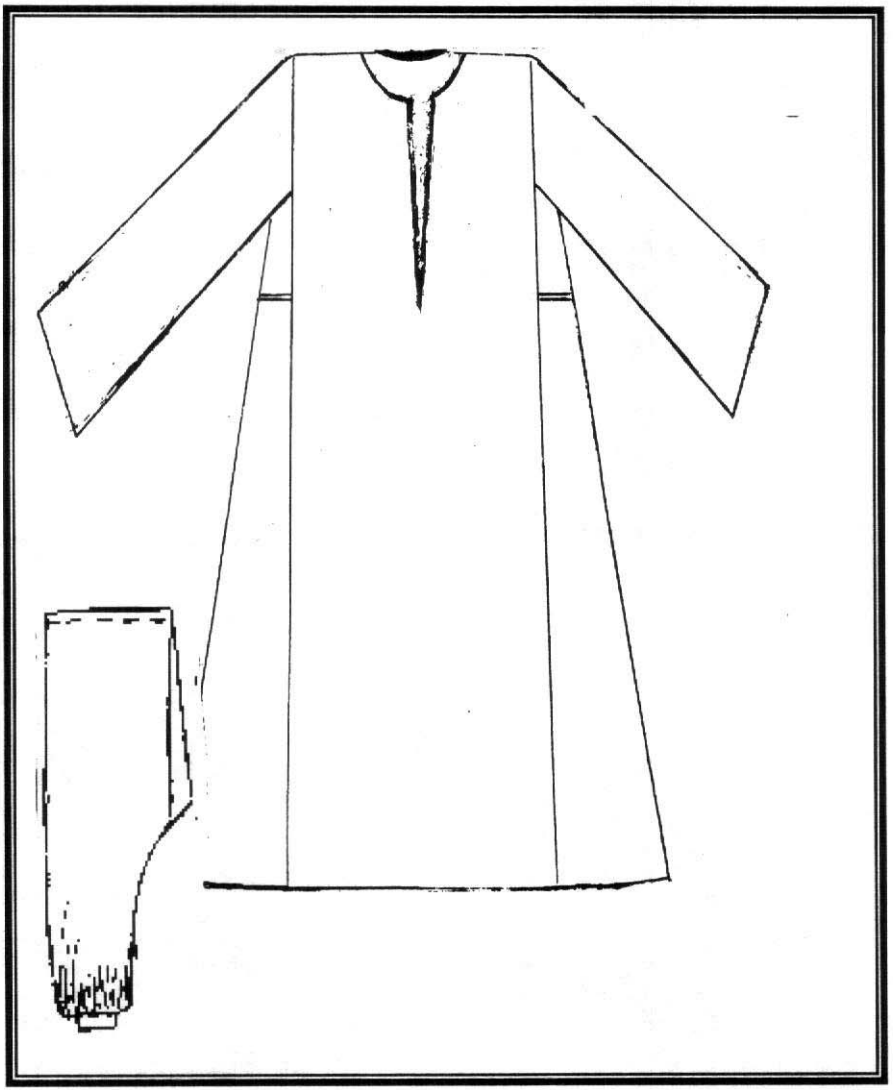

الشكل رقم (٢ أ) تفصيلية للجلباب (الدراعة)

الشكل رقم (٢ب) تفصيليـــة للســـروال

الشكل رقم (٣)
الدلق

الشكل رقم (٤)
القميص والتنورة

الشكل رقم (٥)

الجبة وما بها من أسمال ومرقعات

على ملابس الدرويش

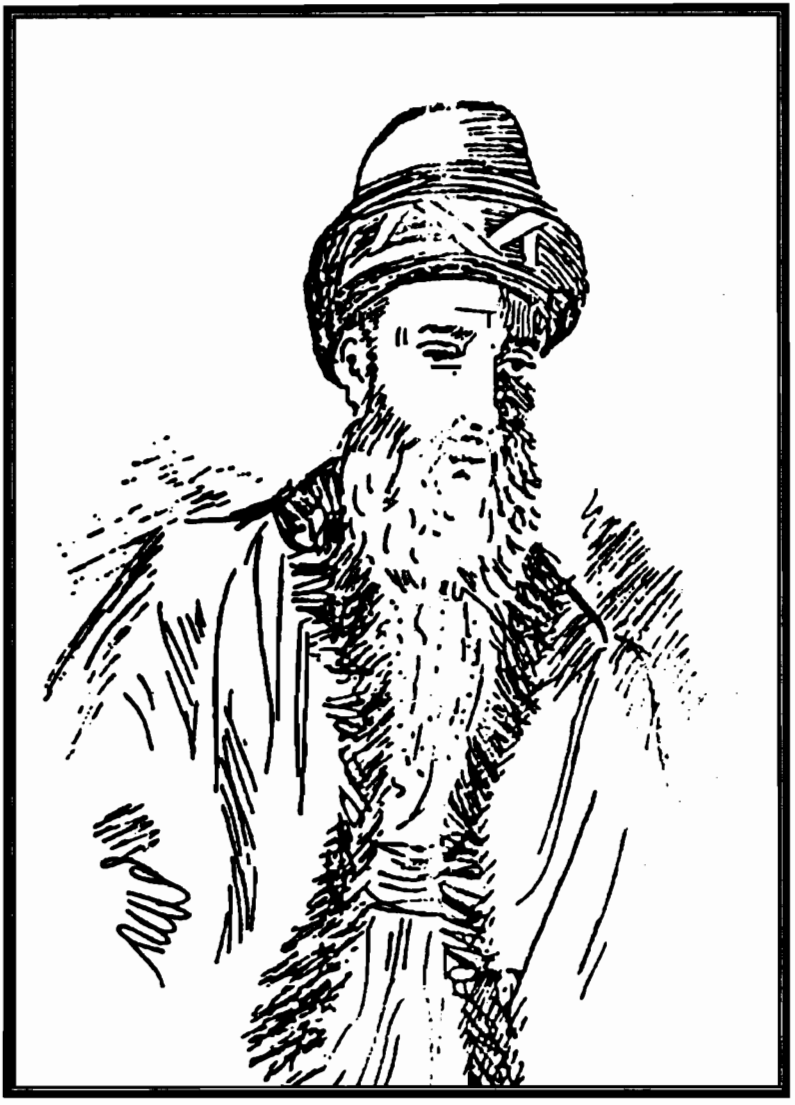

الشكل رقم (٦)

عمامة الصوفى أو الدرويش

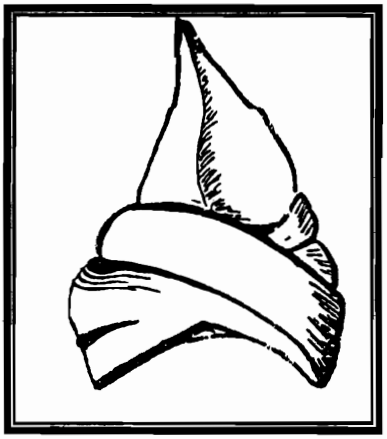

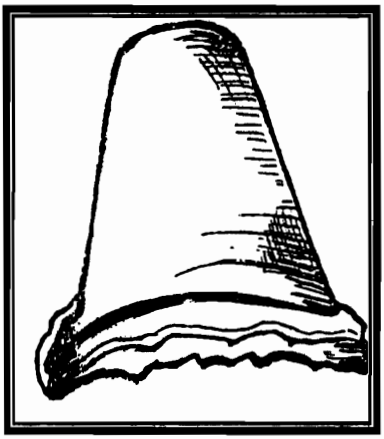

الشكلين رقمى (٧ ، ٨) الطربوش
والطرطور الذى تزينه أشرطة ملونة

الشكل رقم (٩) شكل العمامة
(المقلة) للصوفى أو الدرويش